

ديفيد هيرست: الاحتلال الإسرائيلي يفتح جبهة ضخمة في الأردن بتدميره غزة



الأحد 10 ديسمبر 2023 08:24 م

اهتزت المملكة الأردنية الهاشمية بسبب محاولات إسرائيل إخلاء قطاع غزة من شعبه واتهمت الملكة "رانيا"، زوجة الملك الفلسطينية، الزعماء الغربيين باتباع "معايير مزدوجة صارخة" لفشلهم في إدانة مقتل المدنيين تحت القصف الإسرائيلي. وأشار رئيس تحرير موقع ميدل إيست آي "ديفيد هيرست" إلى أن الأفعال الإسرائيلية سبباً كافياً لبطان المعاهدة، موضحاً أن محاولات تهجير أهل غزة إلى مصر تشكل سابقة تصعيد مماثلة في الضفة. وقال رئيس الوزراء "بشر الخصاونة"، إن تهجير الفلسطينيين خط أحمر بالنسبة للأردن وانتهاك أساسي لمعاهدة السلام التي أبرمتها بلاده مع إسرائيل، في حين قال وزير الخارجية "أيمن الصفدي"، إن ذلك سيكون بمثابة "إعلان حرب". ولا تزال المشاعر تتصاعد؛ فعندما دعا المتحدث باسم كتائب القسام "أبو عبيدة" الشعب الأردني إلى النهوض كان الرد سريعاً للغاية. وهتف زعيم عشائري في المزار: "إلى" أبو عبيدة"، الشخص الوحيد الذي ذكر فضل الأردن ولأول مرة نسمة أن الأردن كابوس للصهاينة فلسطين بالنسبة لنا نحن الأردنيين ليست حجارة وطين فلسطين عند الأردنيين ليست تيناً وزيتوناً فلسطين بالنسبة للأردني عقيدة ودين من المزار الفخور تحية لأبي عبيدة من الكرك الأبوي تحية لغزة".

معاهدة السلام قيد المراجعة

وقال "هيرست" في مقال نشره على الموقع: "ولا ينبغي لنا أن نرفض ارتفاع الدعم الأردني لحركة حماس، باعتبار أن إسرائيل ودول أخرى صنفتها إرهابية، ولكن ليس الأردن". وتابع: "الخصاونة" على حق إن أي تهجير قسري للفلسطينيين من أي جزء من فلسطين يمكن أن يكون سبباً كافياً للأردن لتعميق معاهدة السلام مع إسرائيل، التي صمدت لثلاثة عقود". تنص المادة 2.6 من المعاهدة التي وقعها الملك "الحسين" مع رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك "إسحاق رابين" على أنه "في نطاق سيطرتهم، لا يجوز السماح بالتحركات القسرية للأشخاص بطريقة تضر بأمن أي من الطرفين". لذلك، ليس من قبيل الصدفة أن يقوم البرلمان الأردني بمراجعة المعاهدة، أو أن الأردن يرفض التوقيع على صفقة بوساطة إماراتية يقوم الأردن بموجبها بتزويد إسرائيل بالكهرباء مقابل المياه. كان "مروان المعشر"، وهو نائب الرئيس للدراسات في مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي -مستودع التقلبات العنيفة في علاقات الأردن مع إسرائيل- أول من افتتح سفارة الأردن الأولى في إسرائيل وبصفته وزير للخارجية، لعب دوراً مركزياً في تطوير مبادرة السلام العربية لعام 2002، والتي أثبتت أنها الفرصة الحقيقية الأخيرة لحل الدولتين على أساس حدود إسرائيل عام 1967. واليوم، يتبنى لهجة متشائمة بشكل متزايد ويشير بحق إلى أن القصف الإسرائيلي لغزة قد أحيى المخاوف الأردنية القديمة من أن إسرائيل قد تخلق أو تستخدم ظروف الحرب لدفع عدد كبير من الفلسطينيين من غزة إلى مصر، ومن الضفة الغربية المحتلة إلى الأردن ورأى "هيرست" أن رغبة إسرائيل في القيام بذلك ليست سراً من الناحية الأيديولوجية، كان حزب الليكود، منذ "مناحيم بيغن" فصاعداً، يعتقد دائماً أن الأردن وطن بديل للفلسطينيين ويقول وزيران في الحكومة - على يمين الليكود - صراحةً، إنه ليس للفلسطينيين الحق في العيش في الضفة الغربية، وأحدهما، وزير المالية "بتسلئيل سموتريش"، هو أول وزير في الحكومة يشرف على الحياة المدنية في الأراضي المحتلة. وكتب "المعشر" في تعليق حديث لكارنيجي: "من وجهة نظر الأردن، أصبح النقل الجماعي احتمالاً حقيقياً، وليس مجرد حجة نظرية إذا كانت إسرائيل لا تريد دولة فلسطينية أو أغلبية فلسطينية، فإن البديل الوحيد هو محاولة التأثير على النقل الجماعي لأكثر عدد ممكن من الفلسطينيين. وحتى الآن، تنطبق ظروف الحرب على غزة فقط لكن الأردن يشعر بالقلق من أن غزة قد تشكل سابقة لتصعيد مماثل في الضفة الغربية". وأضاف: "تقوم مجموعات المستوطنين بالفعل بمداهمة القرى الفلسطينية يومياً بدعم من الجيش الإسرائيلي، مما يؤدي إلى طرد الفلسطينيين منها وهذا يخلق الانطباع بأن المتطرفين في الحكومة الإسرائيلية يرون في الحرب الحالية في غزة فرصة للتطهير العرقي في الضفة الغربية".

مخاوف من حرب مقدسة

لم يتمكن الملك "الحسين" قط من تكرار دفع العلاقة التي كانت تربطه برايين مع رئيس الوزراء "بنيامين نتنياهو"، الرجل الذي أمر بمحاولة اغتيال زعيم حماس "خالد مشعل"، والذي أجبره "الحسين" على تقديم الترياق للسلم الذي دسه عملاء الموساد. ولم يكن أداء الملك "عبد الله" أفضل كثيرًا على الرغم من تعليمه في ساندهيرست وميوله الأتلسية. ومع لا مبالاة المنتصر، استخدمت إسرائيل الأردن دائمًا كمنطقة عازلة في أحسن الأحوال. ولم يرغب عن الهاشميين أن أحد المحركات الرئيسية للدفع نحو التطبيع مع السعودية كان خطة إسرائيل لتحل محل دور الأردن التاريخي كخادم للأماكن المقدسة في القدس. وأعرب المقربون من العائلة المالكة الأردنية عن مخاوف من أن تؤدي التغييرات التي تجريها إسرائيل على الوضع الراهن في المسجد الأقصى إلى إشعال حرب مقدسة مع العالم الإسلامي.

وفي أسوأ الأحوال، نظرت إسرائيل إلى الأردن باعتباره مصدر إزعاج يجب تجاوزه في الصفقات التجارية المتألفة مع دول الخليج الغنية بالنفط والغاز. كل هذا كان يتراكم بشكل مطرد في أذهان الأردنيين، قبل وقت طويل من تلويع "نتنياهو" بخريطة إسرائيل، التي مُدحت منها فلسطين، في الاجتماع الأخير للجمعية العامة للأمم المتحدة.

ولكن هناك سببًا أعمق للانزعاج الأردني والليقيين من عدم السماح لإسرائيل بالنجاح في غزة. وروى "هيرست" أنه منذ سبعينيات القرن العشرين فصاعدًا، كان الفلسطينيون - الذين يشكلون حوالي 60% من سكان الأردن ويحملون الجنسية الأردنية، باستثناء اللاجئين من غزة - يعتبرون أنفسهم متفرجين في كل مرة تندلع فيها الحرب. وبعد انتهاء الحرب الأهلية بطرد منظمة التحرير الفلسطينية، فقد الفلسطينيون في الأردن كل إحساس بأنهم منخرطون في الصراع. ولم يسمح الملك لفصائل منظمة التحرير الفلسطينية بأن يكون لها أي تواجد جماعي في الأردن. وعندما أصبحت حماس مهيمنة في الشتات الفلسطيني، تم طردها هي الأخرى. وكانت هناك علاقة "معقدة ومثيرة للجدل" بين جماعة الإخوان المسلمين في الأردن وحماس، كما وصفها أحد الأعضاء البارزين، بعد أن نقلت حماس قيادتها من الأردن إلى سوريا في عام 1999.

ارتفاع المخاطر

اليوم، تسير المحادثات بين الفلسطينيين في عقان على خطوط مختلفة تمامًا. قال أحد الفلسطينيين من عمان لهيرست: "نحن في الأردن، فلسطينيون وأردنيون، لدينا روابط أوثق مع فلسطين من علاقات [زعيم حزب الله حسن] نصر الله. نحن سنة. نحن نأتي من نفس القبائل. كيف يمكن أن نلوم حزب الله لأنه لا يفعل المزيد ونحن نشارك فقط في المظاهرات؟ وهذا لا يمكن أن يستمر".

والحقيقة الواضحة هي أن إيقاظ الهوية الفلسطينية، الذي أثار الاضطرابات المدنية في المدن المختلطة في إسرائيل في عام 2021 بين المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل، يحدث الآن في الأردن.

دعم حماس يتجاوز الانقسامات العرقية في الأردن. والأردنيون الشرقيون ملتزمون بنفس القدر بالرد على إسرائيل. وقال أحد زعماء عشيرة الفايز "طراد الفايز": "نحن جميعًا ندعم حماس والمقاومة. الأردنيون والفلسطينيون متحدون ضد إسرائيل".

لكن حماس لا تحتاج إلى القيام بحملة مبيعات في الأردن. ليس هناك حافز للعمل أكبر من تصرفات المستوطنين والجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية المحتلة.

قبل تسعة أيام ظهرت صفحة على الفيسبوك تحمل الرسالة: "إلى أهل جنين: 9 أيام. ارحلوا الآن... هاجروا إلى الأردن". وأرفقت الرسالة بفيديو يظهر الطريق الذي يجب أن يسلكه فلسطينيو جنين إلى إربد في شمال الأردن. وقام فيسبوك بإزالة الصفحة بعد وابل من الشكاوى.

وبعد تسعة أيام بالضبط، أعلن الجيش الإسرائيلي أن جنين منطقة عسكرية مغلقة، في عملية لا تزال مستمرة. وكما أشار السيناتور الأمريكي رئيس لجنة الاستخبارات "مارك وارنر"، فإن معظم جنود الاحتياط الذين يستدعيهم الجيش الإسرائيلي يأتون من عائلات المستوطنين. إن التطلع إلى الجيش للحد من الهجمات على البلدات الفلسطينية في الضفة الغربية المحتلة هو مهمة حمقاء، حيث أنها أصبحت على نحو متزايد من نفس المجموعة. كل ما يفعلونه هو تبادل الزبي الرسمي.

الأردن يفعل ما بوسعها: أغلق الحدود وعززها لمنع الفلسطينيين من اجتياح المستوطنين لها، وأنشأ مستشفى ميداني في نابلس. وختم "هيرست": "ومع مرور كل يوم من أيام حرب غزة، تتزايد المخاطر على المنطقة. إن الاعتقاد السائد في واشنطن بإمكانية تهدئة الوضع الفلسطيني من خلال استئناف العملية نفسها هو خطأ جوهري؛ فالمستوطنون الإسرائيليون ينتقلون، والأرض التي يريدونها حقًا من شأنها أن تقضي على الدولة الفلسطينية إلى الأبد".

وتابع: "المزاج السائد في إسرائيل قاسٍ. إسرائيل تريد القتال حتى النهاية. ولا يعلمون أن إسرائيل، بتدميرها غزة، تفتح جبهة ضخمة على جناحها الشرقي، وهي الجبهة التي ظلت هادئة طوال الخمسين عامًا الماضية".

<https://www.middleeasteye.net/opinion/israel-palestine-war-destroying-gaza-tel-aviv-opening-huge-front-jordan>